ضبطتها أطر نظرية دقيقة واعية بمختلف أبعادها وتبعاتها خصوصاًعلى مستوى التلقي .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا التقليد الشعري يثوي خلفه تاريخ إبداعي طويل ومتشعب، وتقاليد حضارية متنامية في خط تطوري متماسك الحلقات، تفسر مراحله بعضها البعض.

وحتى نقترب أكثر من موضوع الفضاء الشعري سنعرض لأهم التوجهات المذكورة، تحت اسم النزعة الفضائية :

الفضائية : التاريخ والاتجاهات .

1.2.2.3 ـ من اللغة الأداة إلى اللغة المادة

يمكن التأريخ للتوجه الفضائي بدءاً من نهايات القرن 18، وكانت الخطوة الأساس تتمثل في موقف جديد من «اللغة الأداة» و«اللغة المؤسسة»، لتعتبر تحت مظهرها كمادة فقط، ويصير عمل الشاعر صناعة وتحقيقاً لأشكال داخل اللغة في سمتها المادية، وهكذا كتب نوفاليس (Novalis) سنة 1798 يقول : «يجب الاندهاش من هذا الخطأ الفادح الذي يرتكبه الناس، في الوقت الذي يعتقدون فيه أنهم يتكلمون باسم الأشياء. إن خاصية اللغة هي بالتحديد أن لا تهتم إلا بنفسها ـ وهذا لا يعلمه أحد. . . إلا إذا كنا قادرين على إفهام الناس بأن اللغة مثلها مثل الصيغ الرياضية، هذه الأخيرة تكون لوحدها عالماً بأكمله، إنها لا تشتغل إلا مع نفسها، ولا تعبر عن شيء سوى عن طبيعتها العجيبة، ولهذا السبب بالذات تعتبر معبرة للغاية. لهذا أيضاً تعكس في نفسها اللعبة الغريبة للعلاقات التي تقيمها الأشياء فيما بينها»[11].

نفهم من كلام «نوفاليس» دعوة لفصل اللغة عن وظيفتها الأساسية عن طريق «تشييئها»، وهي في ذلك كالصيغ الرياضية، مبيناً للشاعر أن العمل على اللغة «المادة» عوض الانغلاق في حدودها «كمؤسسة»، يعني في النهاية معرفة أعمق بالعالم[12].

لقد صادفت هذه الدعوة صدى في نهاية القرن 19 والنصف الأول من القرن 20، حيث جرب الشعراء مبارحة الشعر القائم على بلاغة اللغة الأداة لكونه لا ينفصل عن النثر في شيء، ومحاولة العمل على اللغة المادة لإنتاج بلاغة صوتية وبصرية جديدة، ويمكن رصد البدايات في هذا الاتجاه في أعمال «مالارميه»، «وبول فاليري»، وفي النصوص الشعرية البصرية والصوتية للعشرية الأولى من القرن الحالي .

---

(11) **Novalis.** in. **P. Garnier.** Spatialisme et Poésie concrète NRF. Gallmard. 1968.

(12) **P. Garnier.** opcit. P . 10, 11.